عناية سيدنا عثمان (رضي الله عنه)
بالفتوحات الاسلامية واثرها في نشر الاسلام

ياسر محمد عبد الله الراشدي

Our Master ‘Uthman`s (Allah bless him) care about Islamic conquers and their importance in spreading Islam

Yaser Muhammed Abdullah Al Rashidi

The search deals with the care of the generous Prophets’ companions with the conquers that it were the cause for spreading Islam and its teachings among people ,that made the Islamic call had people to hear it , and they were convinced to embrace the Islam , the search concentrates upon one character ,i.e. the character of Caliph Uthman Bin Affan (Allah bless him) starting with his embracement the Islam toward his companionship of Prophet Muhammed (PBUH),and his following to the prophet all his life , then as he was the third Caliph of Sunni Rashidun until his death (Allah mercy him)

Le soucis chez notre maître Ottman – qu'Allah l'a agré- sur les conquêtes islamiques et leur impact dans la propagation de l'Islam

Yasser Mohammed Abdullah Al-Rashidi…

Cette recherche traite le soucis des nobles compagnons sur les conquêtes qui sont la cause de probaguer l'Islam et de transmettre ses enseignements parmi les peuples faisant l'appel islamique tenu compte par des gens qui voudraient d'une façon convaincue entrer l'Islam. C'est que cette recherche prend exclusivement un seul caractère qui concerne le calife ascète Ottman bin Affan - qu'Allah soit agré sur lui – dès le moment qu'il est entré l'Islam et sa compagnie avec le Prophète – PSL - tout au long de sa vie autant qu'il était le troisième calife honorable jusqu'à le jour de sa mort qu'Allah le miséricorde…

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنَّ الأمة الإسلامية أحوج ما تكون اليوم وهي تتخبط في مناهج شتى وطرق عدّة أدت بها إلى الضعف والانحطاط والتخلف، بسبب بعدها عن المنهج القويم والصراط المستقيم إلى منهج رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وسلف الأمة الصالح، فما أحوج الأمة اليوم إلى الرجوع إلى حال أولها، ولا شك في أنَّ معرفة هذا المنهج ودراسته ومعرفة رجاله وأعمالهم هو الخطوة الأولى – بإذن الله – التي تساعد على السير على منهجهم واقتفاء أثرهم واتباع خطاهم، ومن هؤلاء الصحابة الأعلام، الحيي السخي التقي النقي صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه ذو النورين عثمان بن عفان ﷺ، الذي سخّر نفسه وماله وتجارته وخلافته لإعزاز كلمة الله ﷻ، ونشر دعوته بين الناس، حيث كان ﷺ قدوة للناس في قراءة القرآن الكريم وحفظه وفهمه وتدبر معانيه والعمل به، إذ كان ملازماً لرسول الله ﷺ وهذا جعله ينهل العلم والعمل والخلق والمعاملة من النبع الصافي. وبعد ذلك صار مستشاراً أميناً في خلافة الصديق ﷺ، وبعده وزيراً لعمر ﷺ، وبعد أن آلت الخلافة إليه سار على منهج رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) .

لذا رغبت في أن أدرس عناية سيدنا عثمان بن عفان ﷺ بالفتوحات الإسلامية واثرها في نشر الاسلام ، وهناك كثير من الكتب أُلّفت عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ لمكانته وسبقه للإسلام ولمنزلته العلمية والأخلاقية والاجتماعية والعبادية وغير ذلك، لكن على ما بحثت لم أجد بحثا أو دراسة خاصّة بإبراز الجانب الدعوي بعنايته ﷺ بالفتوحات الإسلامية ، لذلك فإنَّ القصد من دراسته في هذا البحث هو بيان الجانب الدعوي وفتوحات الاسلامية لسيدنا عثمان ﷺ واثرها في نشر الاسلام.

فضلاً عمَّا سبق فهناك أسباب دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع منها:

١- حاجة الأمة اليوم إلى الرجوع إلى المنهج الصحيح الذي سار عليه سلف الأمة في دعوتهم إلى الله ﷻ .

٢- ما تميز به سيدنا عثمان ﷺ من العلم والعمل والدعوة إلى الله ﷻ ، فهو الصائم القائم الحافظ لكتاب الله الموصوف بالحياء والسخاء والكرم ، فمن كان هذا شأنه جدير بدراسة علمية للتعرف عليه وعلى سياسته في الدعوة .

٣- رغبتي في الاطلاع على سيرة أصحاب رسول الله ﷺ وعطائهم لأجل هذا الدين ولا سيما الخلفاء الراشدون ﷺ .

سيكون منهج الدراسة في هذا البحث قائماً على المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك بتتبع النصوص المتعلقة بسيرة عثمان بن عفان ﷺ من مظانّها في كتب علوم القرآن والحديث والتاريخ والسير ثم تحليلها ومحاولة استنباط الدلالات المتعلقة بمجال نشر الدعوة .

ولإعطاء البحث حقه من البحث والدراسة – على وفق جهدي المتواضع وعلمي القاصر – وتحصيلاً للفائدة التي يرجوها الباحث اقتضى البحث أن تقوم الدراسة فيه على مقدمة وثلاثة مباحث . .. وهذا هو تقسيمه:

المبحث الاول: نبذة من حياة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ (الاجتماعية والتعبدية).

المبحث الثاني: عنايته ﷺ بالفتوحات الإسلامية .

المبحث الثالث: أثر الفتوحات في نشر الإسلام .

ثم تأتي الخاتمة بمجموعة من النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث، وحسبي ان اقول: اللهم هيئ لنا من امرنا رشدا واجعل لنا من كل ضيق مخرجا، وانا اسعى ببحثي جاهدا ابتغي الدعوة لهذا الدين بما أعطاني الله وبما مكنني فيه عسى ان يقبل العمل وان يتقبل مني النية والله من وراء القصد وهو يهدي الى الحق والى صراط مستقيم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الاول

نبذة من حياة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ

(الاجتماعية والتعبدية)

اولاً: سيرته ﷺ الشخصية والاجتماعية

١- اسمه ﷺ:

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي[١]، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في عبد مناف[٢] ، و((أمّه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس)) [٣] ، وأمّ أروى أمّ حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهي البيضاء عمة رسول الله ﷺ [٤].

٢- **كنيته** ﷺ: ((ويكنى: أبا عمرو ، وأبا عبد الله ، وأبا ليلى)) [٥] ، وقيل كان يكنى أولاً بابنه عبد الله ، الذي ولدته رقية بنت رسول الله ﷺ ومات ، ثم كني

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بلا/ ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م) جـ ٣٩/ ص٣.

(٢) ينظر: أسد الغابة ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين أبن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) دار الفكر ، (بيروت/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، جـ٣/ ص ٤٨٠.

(٣) تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) مطبعة دار المعارف النظامية (الهند/ ١٣٢٦ هـ) جـ ٧/ ص ١٣٩.

(٤) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ، جـ٣٩/ ص ١٥. تهذيب التهذيب ، ج٧/ ص ١٣٩.

(٥) المعارف ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) تحقيق: د.ثروت عكاشة، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة/ ١٩٩٢م) جـ١/ ص١٩١.

بابنه عمرو ، وذكر إنه كان يكنى أبا ليلى[١].

٣- لقبه ﷺ :

وهو أمير المؤمنين وذو النورين ، إذ زوّجه رسول الله ﷺ بابنته رقية ، ثم زوجه بعد أن توفيت رقية من أم كلثوم (رضي الله عنهما) ولما توفيت -أم كلثوم- قال رسول الله ﷺ: ((لو كانت عندي ثالثة لزوجته))[٢] .

وقد ذكر أنَّ علياً ﷺ سئل عن عثمان بن عفان ، فقال: ((ذاك أمرؤٌ يدعى في الملإ الأعلى ذا النورين ، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه ، ضمن له بيتاً في الجنة))[٣] .

((ولد في السنة السادسة بعد الفيل ، بويع له بالخلافة غرّة المحرّم سنة أربعة وعشرين ، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا ليالي))[٤] .

٤- إسلامه ﷺ:

عمل عثمان بن عفان ﷺ بالتجارة ، حيث سنحت له الفرصة للاطلاع على الأديان الأخرى ، خاصة في بلاد الشام وغيرها من البلدان وهذا الأمر بالذات كان

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣ هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري ، ط٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر/ ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥م) جـ ١/ ص ٢٥؛ وأسد الغابة ، جـ ٣/ص٤٨١.

(٢) مجمع الزوائد المعارف ، ومنبع الفوائد ، الحسن نورالدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ) تحقيق: حسام الدين أبو القدسي، مكتبة القدسي (القاهرة/ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) كتاب المناقب، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ، رقم الحديث (١٤٥١١) وعقب الهيثمي على الحديث بقوله: فيه الفضل بن المختار ، وهو ضعيف.

(٣) أسد الغابة ، جـ ٣/ ص ٤٨٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢ هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت/ ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م) جـ١١/ ص٢٧٧.

له الدور الأمثل في إسلامه . فعن يزيد بن رومان[١] قال: خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله[٢] على إثر الزبير بن العوام[٣] فدخلا على رسول الله ﷺ ، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن وأنبأهما بحقوق الإسلام ووعدهما الكرامة من الله ، فآمنا وصدّقا ، فقال عثمان: يا رسول الله قدمت حديثاً من الشام فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام إذا منادٍ يناديا أيها النيام هُبُّوا فإنَّ أحمد قد خرج بمكة ، فقدمنا فسمعنا بك ، وكان إسلام عثمان قديماً قبل دخول رسول الله دار الأرقم))[٤] ، وقيل دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم ، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام[٥] .

(١) يزيد بن رومان: أبو الروح ، القارئ مولى آل الزبير بن العوام المدني ، أخذ القراءة عوضاً عن عبد الله بن عياش المخزومي وسمع ابن عباس ، وروى القراءة عنه نافع ابن ابي نعيم ، وهو ثقة؛ ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الاربلي (ت: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، ط٧ ، دار صادر (بيروت/ بلا) جـ٦/ ص٢٧٧.

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، أبو محمد القرشي التيمي ، يعرف بطلحة الخير ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد؛ ينظر: أسد الغابة ، جـ ٢/ ص ٤٦٧- ٤٦٨.

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى ، حواريّ رسول الله ﷺ ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أهل الشورى ، وأول من سَلَّ سيفه في سبيل الله ، أبو عبد الله ﷺ أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة؛ ينظر: سير أعلام النبلاء ، جـ ١/ ص٤١.

(٤) الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، البصري ، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت/ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) جـ ٣/ ص ٤٠.

(٥) ينظر: أسد الغابة ، جـ ٣/ ص ٤٨١.

٥- هجرته ﷺ:

عُرف ﷺ بلين العريكة[١]، ووداعة الخليقة، ولطف الطبع، وسماحة النفس، وشدة الحياء ودماثة العِشرة ، وجمالِ البِزَّة[٢]، فضلاً عن تجارته وكثرة ماله ، و اتساع ثرائه ، فأحسن إلى قومه ، وأغدق عليهم عطاءه ، فأحبوه حباً ضربوا به المثل[٣] ، لذلك كان لعثمان مكانة ووجاهة في قريش ، فلما أسلم أغاض هذا قريشاً كثيراً ، لأنه سيكون مؤثراً لغيره في هذه الدعوة الجديدة لهذا الدين ، فسرعان ما ((أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية[٤] ، فأوثقه رباطاً وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؟ والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين . فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه . فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه))[٥] ، وبعد ذلك عندما كثر المسلمون اشتد عليهم العذاب والبلاء من قبل قريش ، أذن الله سبحانه لهم في الهجرة إلى أرض الحبشة ، فكان أول من خرج من المسلمين فارّاً بدينه عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ[٦] .

---

(١) العريكة: يقال فلان لين العريكة إذا كان سلساً؛ ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، جـ٤/ ص ١٥٩٩.

(٢) البزة: هي الهيئة واللباس؛ ينظر: أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية (بيروت/ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م) جـ ١/ ص ٥٩.

(٣) ينظر: عثمان بن عفان ، صادق إبراهيم عرجون ، ط٢، الدار السعودية (جدة/ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ص٤٥-٤٦.

(٤) الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي ، أبو مروان ابن الحكم ، يعد في أهل الحجاز ، عم عثمان بن عفان ﷺ ، أسلم يوم الفتح. ينظر: أسد الغابة، جـ ١/ ص ٥١٤.

(٥) الطبقات الكبرى ، جـ ٣/ ص ٤٠.

(٦) جوامع السيرة النبوية ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) دار الكتب العلمية (بيروت/ بلا) ص٤٤.

وهاجر ﷺ الهجرة الثانية إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة مع امرأته رقية رضي الله عنها ، كل ذلك طاعة لله ولرسوله ﷺ ودعوة إلى دينه ، ومن المعروف لدى الناس كم هو صعب مفارقة الأهل والوطن ، ولكن كل شيء يهون من أجل هذا الدين العظيم والدعوة إليه[١] .

ثانياً: حياته ﷺ التعبدية:

يعد عثمان بن عفان ﷺ من العباد الزاهدين الذين اتعبوا نهارهم وسهروا ليلهم تقرباً إلى الله ﷻ ، صوّام النهار ، قوّام الليل ، دائم النظر في المصحف الشريف ، وبقي على هذا النمط العالي في الهمة طول حياته وعمره المديد الذي عبر الثمانين ، فكان خاشعاً ضارعاً ، تقياً نقياً ، طاهراً عفيفاً ، أوّاباً متبتلاً ، دائم الصلة بالله سبحانه[٢] .

١ – صـــلاتـــه ﷺ:

إنَّ من أعظم العبادات التي ربّى النبي ﷺ أصحابه عليها الصلاة . وكان عثمان ﷺ بلغ بها منزلة قلّ نظيره ومثيله ، فعن عبد الرحمن بن عثمان التيمي[٣] قال: قلت: ((لأغلبنّ الليلة النفر على الحِجْرِ يريد المقام قال: فلما قمت إذا رجل يزحمني متقنعاً، قال: فنظرت فإذا هو عثمان فتأخرت عنه ، فصلى ، فإذا هو يسجد سجود القرآن، حتى إذا قلت: هذا هو آذان الفجر، أوتر بركعة لم يصلِّ غيرها ثم انطلق))[٤]، وعن ابن

(١) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ، جـ ٣٩/ ص ٨.

(٢) ينظر: الخلفاء الراشدون ، حياة ماجدة وأعمال خالدة ، عبد الستار الشيخ ، ط٢، دار القلم (دمشق/ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي ، أسلم يوم الحديبية ، روى عن النبي ﷺ وعن عثمان بن عفان ، قتل مع عبد الله بن الزبير ودفن في مكة؛ ينظر: تهذيب التهذيب ، جـ ٦/ ص ٢٢٧.

(٤) المصنف ، أبو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي (بيروت/ ١٤٠٣ هـ) باب: كم الوتر ، رقم الحديث (٤٦٥٣).

سيرين[١] ، قال: ((قالت امرأة عثمان بن عفان حين أطافوا يريدون قتله: إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن))[٢] .

فإذا كان هذا حاله مع النوافل ، فكيف يكون مع الفرائض؟ وهذا ما يؤكده جلوسه في المسجد وانتظاره الصلاة ، فعن عبد الرحمن بن أبي عمرة[٣]، قال: صليت المغرب ثم دخلت المسجد فإذا عثمان بن عفان جالس وحده فجئت حتى جلست إليه فقال: من أنت؟ فقلت: عبد الرحمن بن أبي عمرة فقال: يا ابن أخي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَن صلّى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل، ومَن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كلّه))[٤] .

٢- صيامه ﷺ:

حينما نتكلم عن صيامه رضي الله عنه لا نتكلم عن شهر رمضان المبارك ، إذ لا يمكن أن نتصور صحابياً من صحابة رسول الله ﷺ لم يكن يصوم شهر رمضان ولا سيما الخلفاء الراشدون [٥].

---

(١) هو محمد بن سيرين ، مولى أنس بن مالك ، وكان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ﷺ؛ ينظر: الطبقات الكبرى ، جـ٧/ص١٤٣.

(٢) صفة الصفوة ، الإمام جمال الدين القرشي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية (بيروت/ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) جـ ١/ ص ١٠٠.

(٣) عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري النجاري واسم أبي عمرة عمرو بن محصن ، روى عن جمع من الصحابة ، كان ثقة كثير الحديث؛ ينظر: تهذيب التهذيب، جـ ٦/ ص ٢٤٢.

(٤) شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد (الرياض/ ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م) باب فصل في الصلوات الخمس في الجماعة رقم الحديث (٢٥٨٩).

(٥) ينظر: الحياة التعبدية للرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ﷺ ، للدكتور عبد الستار جاسم محمد، دار ابن كثير (دمشق – بيروت/ ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م) جـ ٢/ ص٤٢١.

لكن نقول بلغ ﷺ حداً في الصيام حمل معاصريه أن يصفوه بأنه[١]: ((كان يصوم الدهر))[٢] .

فسيدنا عثمان ﷺ حين يقضي ((الدهر صائماً فهذا نبأ عجيب؛ إذ إنَّ داره تعج بأطايب الطعام ، وموائده تزخر بما لذّ وطاب ، ومع كل هذه المغريات تتبدى نفسية المؤمن المهاجر ، الذي هجر كل شيء طمعاً فيما عند الله ، وهو خير وأبقى))[٣] .

٣ – أخلاقه ﷺ:

إنّ الله سبحانه تعبّد عباده بالأخلاق كما تعبدهم بالصلاة والصيام وغيرها من العبادات، وقد كان عثمان ﷺ على جانب عظيم من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة التي كان عليها قبل إسلامه ، فازدادت بالإسلام تألقاً ونصاعة ، إذ اكتسب من رسول الله ﷺ الخلق العظيم والفضائل والمكارم ، واستحق من النبي ﷺ ذلك الثناء العظيم[٤] ، عندما دخل على ابنته رقية وهي تغسل رأس عثمان رضي الله عنهما ، فقال: ((يا بنية: أحسني إلى أبي عبد الله فإنه أشبه أصحابي بي خلقاً))[٥] ، ((وخلق رسول الله ﷺ يعجز عنها الوصف ، ولا تتسع لها الصفحات))[٦] ، وجمع بذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٧] ، وعندما سئلت أم المؤمنين

---

(١) ينظر: الخلفاء الراشدون ، عبد الستار الشيخ ، ص٢٨٦.

(٢) صفة الصفوة ، جـ ١/ ص ١٠٠.

(٣) الخلفاء الراشدون ، عبد الستار الشيخ ، ص٢٨٦.

(٤) ينظر: الخلفاء الراشدون ، عبد الستار الشيخ ، ص ٢٨٦.

(٥) المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط٢، مكتبة ابن تيمية (القاهرة/ بلا) باب صفة عثمان بن عفان وسنُّه ﷺ ، رقم الحديث (٩٨)، قال الهيثمي: رجاله ثقات؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ ، باب ما جاء في خلقه ﷺ ، رقم الحديث (١٤٥٠٠).

(٦) الخلفاء الراشدون ، عبد الستار الشيخ ، ص ٢٧٦.

(٧) سورة القلم ، الآية (٤).

عائشة[١] (رضي الله عنها) عن خلقه ﷺ ، قالت: ((كان خلقه القرآن))[٢]، فإذا كان عثمان ﷺ من أشبه الناس به ﷺ خُلُقاً ، وهذا بشهادة النبي ﷺ، فكيف ستكون أخلاق هذا الصحابي الجليل ؟[٣] .

إنَّ جميع الصفات الحميدة قد اتصف بها عثمان ﷺ ، لكنه اشتهر ببعضها كثيراً فكأنَّ هذه خاصة به لما تأصل فيه بكل كيانه وجوارحه، فأثرت في حركاته وسكناته، ومن هذه الصفات الحياء، والسخاء، والزهد، وصلة الرحم ، والتقوى ، واما الحياء ، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم أستأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم أستأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه ، فدخل فتحدث ، فلما خرج ، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلسْتَ وسويت ثيابك فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة))[٤] .

---

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين ، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه ، تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين ، وكان جبريل قد عرض على رسول الله ﷺ صورتها في سُرقة حرير في المنام ، لما توفيت خديجة رضي الله عنها. ينظر: أسد الغابة ، جـ ٦/ ص ١٨٨ – ١٨٩.

(٢) الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ) تحقيق: محمد الياس الباره بنكوي ، دار ابن كثير (دمشق – بيروت/ ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م) باب من دعا الله أن يحسّن خُلُقَه ، رقم الحديث (٣٠٨).

(٣) الخلفاء الراشدون ، عبد الستار الشيخ ، ص ٢٨٦.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ ، رقم الحديث (٢٤٠١).

وعن أبي قلابة (رحمه الله)[١]، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أصدق أمتي حياءً عثمان)) [٢]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عِظَمِ التزامه وتقواه[٣].

((وأما سخاؤه وكرمه فذلك بحر لا ساحل له ، وعطاء واسع منقطع النظير، فلقد أنفق ماله يميناً وشمالاً في سبيل الله ، حتى لقد غطى كرمه – مع حيائه – على باقي خصاله الكريمة ، وسجاياه النبيلة))[٤] ، ولنستعرض هنا موقفاً في ذلك:

فعن عبد الرحمن بن خبّاب ﷺ [٥] قال: ((شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة ، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حضَّ على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حضَّ على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله لِله عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه))[٦]، وعن عبد الرحمن بن

---

(١) هو عبد الله بن زيد بن عمرو بن ناتل بن مالك ، الإمام ، شيخ الإسلام ، أبو قلابة الجرمي، البصري ، كان ثقة كثير الحديث ، تابعي ، من الفقهاء ذوي الألباب ، مات بالشام. ينظر: سير أعلام النبلاء، جـ ٤/ ص ٤٦٨ – ٤٧١.

(٢) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥ هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد (الرياض/ ١٤٠٩ هـ) باب ما ذكر في فضل عثمان بن عفان ﷺ ، رقم الحديث (٣٢٠٢٨) والمشهور بـ (مصنف ابن أبي شيبة).

(٣) ينظر: الحياة التعبدية للرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ﷺ ، جـ ٢/ ص ٤٣١.

(٤) الخلفاء الراشدون ، عبد الستار الشيخ ، ص٢٧٩.

(٥) هو عبد الرحمن بن خباب السلمي الأنصاري ، نزيل البصرة ، روى عن النبي ﷺ في فضل عثمان، ذكره ابن حبان في الثقات؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٤/ ص ٢٥٣.

(٦) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ،لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ – ٢٩٧هـ) دار إحياء التراث العربي (بيروت/ ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م)، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ ، رقم الحديث (٣٧٠٩) وعقب الترمذي على الحديث بقوله: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

سمرة ﷺ[١] قال: ((جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ، قال: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: ما ضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم مرتين))[٢] .

وكان عثمان ﷺ يقول: ((لولا أنّي أخاف أن يكون في الإسلام ثلمة أسدها بهذا المال ما جمعته))[٣]، فلم يكن يجمع المال حبّاً له وإنما لأجل الدعوة ، وهذا ما يبينه زهده ﷺ، ((لقد روي عنه رضي الله عنه أنه كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت))[٤] .

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد ﷺ[٥]، قال: ((رأيت عثمان بن عفان ﷺ يوم الجمعة على المنبر وعليه إزار عدني غليظ يساوي أربعة دراهم أو خمسة وريطة كوفية ممشقة))[٦]، فرجل بمقدرة عثمان يستطيع أن يأكل ما لذّ وطاب من أطايب

---

(١) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أسلم يوم الفتح ، وصحب النبي ﷺ، سكن البصرة ، وكان متواضعاً ، إليه تنسب سكة سمرة بالبصرة ، مات سنة (٥٠ هـ)؛ ينظر: أسد الغابة ، جـ ٣/ ص ٣٥٠ – ٣٥١.

(٢) سنن الترمذي، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ ، رقم الحديث (٣٧١٠) وعقب الترمذي على الحديث بقوله هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) شرف المصطفى ، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي ، أبو سعد (ت: ٤٠٧ هـ) دار البشائر الإسلامية (مكة/ ١٤٢٤ هـ) جـ ٥/ ص ٤٨٨.

(٤) المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي ، محمد أو (عبدالله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري ، أبو عبد الله جمال الدين أبن حديدة (ت: ٧٨٣ هـ) تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب (بيروت/ بلا) جـ ١/ ص ٦١.

(٥) هو عبد الله بن شداد بن أسامة بن عمرو، وهو الهاد، وإنّما قيل لجده (الهاد) لأنّه كان يوقد ناراً بالليل ليهتدي بها الأضياف، ولد عبد الله على عهد النبي ﷺ، روى عن عمر ، وعلي روى عنه الشعبي وإسماعيل بن محمد بن سعد؛ ينظر: أسد الغابة، جـ٣/ ص ١٧١-١٧٢.

(٦) هو عبد الله بن شداد بن أسامة بن عمرو، وهو الهاد، وإنّما قيل لجده (الهاد) لأنّه كان يوقد ناراً بالليل ليهتدي بها الأضياف، ولد عبد الله على عهد النبي ﷺ، روى عن عمر، وعلي روى عنه الشعبي وإسماعيل بن محمد بن سعد؛ ينظر: أسد الغابة ، جـ٣/ ص١٧١-١٧٢.

الطعام والشراب، ويستطيع أن يلبس أحسن وأجمل الثياب، لكنه علم أنَّ الدنيا ليست بدار قرار، فرضي منها باليسير بل ما يبلغه حاجته فقط، وهذه دعوة عملية ، وأمَّا صلة الرحم فيكفي أن نذكر شهادتين يتبين من خلالهما حاله ﷺ، في هذا، قال علي ﷺ: ((كان عثمان أوصلنا للرحم، و أتقانا للرب))[١]، وقالت عائشة (رضي الله عنها): ((لقد قتلوه وإنَّه لمن أوصلهم للرحم وأتقاهم لربه))[٢].

وأمَّا عن تقواه وخوفه من الله سبحانه ، فيكفي أن نقرأ قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا ﴾[٣]، قال ابن عمر(رضي الله عنهما)[٤]: ذاك في عثمان بن عفان ﷺ [٥]، وقد سهل لنا السبيل إلى معرفته فقال ﷺ: ((بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه اليمنى فما مسست بها ذكري ، ولا تغنيت ولا تمنيت ، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام))[٦] .

---

(١) ينظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة، الإمام الشيخ أحمد بن عبد الله الشهير بالمحب الطبري (ت: ٦٩٤هـ) ط ٢، دار الكتب العلمية(بيروت/١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) جـ٣/ ص٢٧.

(٢) تهذيب التهذيب ، جـ ٧/ ص ١٤١.

(٣) سورة الزمر ، الآية (٩).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وهاجر قبل أبيه، شهد الخندق، و غزوة مؤتة، واليرموك، وفتح مصر، وإفريقية، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ ، وكان من أئمة المسلمين؛ ينظر: أسد الغابة ، جـ٣/ص ٢٣٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة، (١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م) جـ ٧/ ص ٨٨.

(٦) شرف المصطفى ، جـ ٥/ ص ٤٧٥.

المبحث الثاني

عنايته ﷺ بالفتوحات الاسلامية

تمهيد:

إنَّ عثمان ﷺ قام بأعمال بقيت غُرَّةً ناصعةً على جبين التاريخ، منها تجهيزه جيش العسرة في غزوة تبوك[١]، وكذلك توسعته لمسجد الرسول ﷺ، وحفر بئر رومة، عن ثمامة بن حزن القشيري[٢]، قال: ((شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليه اطلاعه ، فقال ادعوا لي صاحبيكم الذين أَلَّباكم عليَّ، فَدُعيا له، فقال: أنشدكم الله تعلمان أنّ رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة ضاق المسجد بأهله، فقال: من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين، وله خيرٌ منها في الجنة؟ فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعوني أن أُصلّي فيه ركعتين، ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول الله ﷺ: من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين، وله خير منها في الجنة؟ فاشتريتها من خالص مالي، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها))[٣].

وهذا الذي ذكرت، إن دل على شيء إنما يدل على مدى حب عثمان لهذا الدين، والدعوة إليه، وتقوية المسلمين، وإظهار لسماحة الإسلام، ودعوة عملية للمبادئ التي جاء بها هذا الدين العظيم، فبعد أن ثبّت النبي ﷺ أركان الإسلام في المدينة، بدأ

---

(١) ينظر: الخلفاء الراشدون ، عبد الستار الشيخ ، ص ٢٦٨.

(٢) في (البداية والنهاية) ثمامة بن جزء، والصحيح ما أثبتناه: هو ثمامة بن حزن بن عبدالله ابن قشير القشيري البصري، أدرك النبي ﷺ ولم يره، روى عن عمر وعثمان وعائشة وأبي هريرة، وذكر بعض أهل النسب من بني عامر أن لثمامة صحبة، وهو ثقة؛ ينظر: تهذيب التهذيب، جـ٢/ ص ٢٧.

(٣) البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي (١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م) جـ٧/ ص ١٩٩ – ٢٠٠.

بتحويل الدعوة إلى خارج المدينة، حيث القبائل العربية ومركز وجودها في الجزيرة العربية لينطلق إلى دائرة أوسع ثم سار على منهجه هذا خلفاؤه الراشدون أبو بكر الصديق ﷺ بعد الانتهاء من حروب الردة ، فقد ارتدت بعض القبائل العربية عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وجاء بعد الصديق عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، فبدأت تظهر ملامح الفتوحات الإسلامية على نحو كبير وواضح، وحينما آل أمر الخلافة إلى عثمان بن عفان ﷺ أظهر عناية كبيرة بالفتوحات الإسلامية، فهي وسيلة عظيمة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية في أصقاع الأرض، ولم تكن هذه الفتوحات من أجل المال أو لأغراض دنيوية أخرى كما يتهم بذلك غير المنصفين الإسلام، فالقتال في الإسلام له أهداف سامية، حددها القرآن الكريم وبينها بوضوح ودقة في آيات القتال، كما أظهرها الرسول ﷺ فعلياً في غزواته، وسار على هذا النهج الخلفاء الراشدون ﷺ(١)، ومن هذه الأهداف:

١ – دفع الظلم ، وحماية المؤمنين الذين يعبدون الله ﷻ من الظلم والتعذيب والقتل والتشريد الذي يقع عليهم من غير المسلمين في ديارهم وأوطانهم ، قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(٢) .

٢ – ردّ اعتداء المعتدين، ومنع وقوع الفتنة بالمؤمنين وإبعادهم عن دينهم، حتى يكون الدين كله لله، وحتى تكون حرّية عبادة الله ﷻ مؤمّنة في الأرض، وحتى يظهر دينه على الأديان، فلا يخالطه شرك ولا إفساد(٣)، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

(١) ينظر: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ، استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية، للدكتور علي معطي، مؤسسة المعارف (بيروت/ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م) ص٢١٩.

(٢) سورة الحج، الآية (٣٩).

(٣) ينظر: التاريخ السياسي والعسكري ، علي معطي ، ص ٢١٩.

ٱلْمُنَّقِينَ ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢] .

٣ – حماية حرية نشر الدعوة الإسلامية ، فالإسلام لم يشرع القتال من أجل نشر الدعوة الإسلامية بالقوة ، بل لحماية حرية العقيدة ، وتأمين حرية انتشارها بين الناس قال تعالى:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾[٣]، وهذا لا يكون إلا بتحطيم الحواجز المادية التي يقيمها بعض أصحاب السلطات في وجه هذه العقيدة ، أو لصدّ عدوان خارجـــــــــي على البلاد الإسلامية [٤] ، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ﴾[٥]، وسندرس في هذا المبحث ما قام به سيدنا عثمان ﷺ وما بذله من جهود عسكرية ، وكيف سعى ﷺ إلى نشر الدعوة الإسلامية عن طريق الفتوحات المباركة ، لذلك سيكون هذا المبحث ضمن النقاط الآتية:

اولاً: سياسته العسكرية ﷺ البرية

كان سيدنا عثمان ﷺ في مقرّ الخلافة في المدينة المنورة ، لكنه كان يتابع كل ما يخصّ الشؤون العسكرية من اختيار القادة ، وتسيير الحملات ، وإمداد الجيش، وكتابة الكتب إلى أمراء الأجناد وحثهم وتشجيعهم على الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية . لذلك سندرس هذا المبحث عبر المطالب الآتية:

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان (١٩٣ – ١٩٤).

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٣٩).

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٥٦).

(٤) ينظر: التاريخ السياسي والعسكري ، علي معطي ، ص ٢٢٠.

(٥) سورة البقرة ، من الآية (٢١٧).

١- كتبه ﷺ إلى أمراء الجند .

كتب سيدنا عثمان ﷺ إلى أمراء الجند في الثغور كتاباً جاء فيه: ((أمّا بعد: فإنّكم حماة المسلمين وذادتهم[١]، وقد وضع لكم عمر ، رحمه الله ، ما لم يغب عنا، بل كان عن ملأٍ منا ، فلا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون ؟ فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه))[٢]، ولنا مع هذا الكتاب وقفات دعوية:

أ – يدعو سيدنا عثمان ﷺ أمراء الجند إلى أن يعرفوا مكانتهم وموقعهم من الأمة ، فلا يلتفتوا إلى صغائر الأمور، ودعاهم إلى السير على منهج عمر بن الخطاب ﷺ.

ب – دعا سيدنا عثمان ﷺ القادة إلى الثبات على المبادئ والقيم الإسلامية ، وأن لا يغيروا أو يبدلوا فَيُغَيَّرُوْنَ ويُسْتَبْدَل بهم غيرهم ، وهذا يعطي للقائد حافزاً على الجدِّ والعمل فليس بالهيّن أن يتحول القائد في لحظة من القيادة ويعود جندياً من الجند ، فالطبيعة البشرية تأبى ذلك ويشير سيدنا عثمان ﷺ بهذه الكلمات إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[٣].

ج – نلاحظ أنّ سيدنا عثمان ﷺ استعمل أسلوبين من أساليب الدعوة ، فالأول: الترغيب من خلال المدح، والثاني: الترهيب من خلال الوعيد ، بالتبديل إن هم بدّلوا وغيرّوا [٤] .

د – يبين عثمان ﷺ أنّ معاملته لهم على أساس منهج الله ﷻ، ليس محاباة لقرابة أو مجاملة لأحد على حساب الدين ، فشرعُ الله سبحانه وتعالى هو الحكم

---

(١) ذاد: دافع والمعنى ذادتهم أي المدافعون عنه؛ ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، جـ١/ ص ٨٢٩.

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، جـ ٢/ ص ٦٠٩.

(٣) سورة محمد ، الآية (٣٨).

(٤) ينظر: التاريخ السياسي والعسكري ، علي معطي ، ص ٢٢١.

الفصل والمرجع في النظر إلى أولئك الأمراء [١].

٢- أحداث الإسكندرية:

ففي سنة خمس وعشرين للهجرة خالف أهل الإسكندرية ونقضوا صلحهم مع المسلمين ، وكان سبب ذلك أنّ الروم عظم عليهم فتح المسلمين الإسكندرية ، وظنّوا أنّهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الإسكندرية عن ملكهم ، فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم إلى نقض الصلح ، فأجابوهم إلى ذلك فسار إليهم من القسطنطينية جيش كبير ، وعليهم منويل الخصيّ [٢] ، فأرسوا بها ، واتفق معهم من بها من الروم ، ولم يوافقهم المقوقس [٣] بل ثبت على صلحه [٤]، وكان عثمان بن عفان ﷺ قد عزل عمرو بن العاص ﷺ وولّى عبدالله بن سعد [٥]، فلما نزلت الروم الإسكندرية سأل أهل مصر عثمان ﷺ أن يقرَّ عمرواً حتى يفرغ من قتال الروم، فإنّ له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل واستجاب لطلبهم ، ولم يباشرهم عمرو

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢١.

(٢) هو قائد من الروم ارسله هرقل إلى القسطنطينية ثم الى الإسكندرية عندما بقي الروم بها تحت أيديهم وكتبوا لهرقل فاستنجدوه فبعث إليهم منويل الخصيّ مع جيش رومي ونزل بساحل الاسكندرية فمنعه المقوقس من الدخول إليه، فسار إلى مصر ولقيه عمرو بن العاص ﷺ والمسلمون فهزموهم واتبعوهم إلى الاسكندرية، وأثخنوا فيهم بالقتل وقتل منويل الخصيّ؛ ينظر: سير أعلام النبلاء ، جـ ٢/ ص٤٦٢.

(٣) مقوقس اسمه جريج يعني بجيمين ، أهدى إلى النبي ﷺ بعض الهدايا ، وهو صاحب الإسكندرية لا مدخل له في الصحابة فإنه لم يسلم؛ ينظر: أسد الغابة ، جـ ٥/ ص ٢٤٦.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري ، عزالدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) جـ ٢/ ص٤٥٥.

(٥) عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن لؤي القرشي العامري أخو عثمان بن عفان ﷺ من الرضاعة ، أسلم قبل الفتح وهاجر وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، ثم ارتد ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه ، وهو أحد العقلاء الكرماء من قريش ، فتح الله على يديه إفريقية (ت: ٣٦ هـ) بعسقلان؛ ينظر: أسد الغابة ، جـ ٣/ ص ١٥٥ – ١٥٦.

ابن العاص ﷺ القتال ، بل أمهلهم حتى يمعنوا في الإفساد، حتى يشعر المصريون بالفرق العظيم بين حكامهم من المسلمين، وحكامهم من الروم، ولتمتلئ قلوب المصريين على الروم حقداً وغضباً فلا يكون لهم من حبهم والعطف عليهم أدنى حظ، وخرج منويل الخصي بجيشه من الإسكندرية يقصد مصر السفلى دون أن يخرج إليهم عمرو أو يقاومهم أحد، وتخوّف بعض أصحابه وعمرو كان له رأي آخر ، فقد كان يرى أن يتركهم يقصدونه، ولا شك في أنّهم سينهبون أموال المصريين ، وسيرتكبون من الحماقات في حقهم ما يملأ قلوبهم حقداً عليهم وغضباً منهم ، فإذا قام المسلمون لمواجهتهم عاونهم المصريون على التخلص منهم، وهذا من حسن تدبير أمور المعركة ، وحدد عمرو سياسته هذه بقوله: دعهم يسيروا إليّ، فإنّهم يصيبون مَن مرّوا به ، فَيُخْزَى بعضهم ببعض ، وقد صدق حدسه، وأمعن الروم في إفسادهم ونهبهم وسلبهم ، وغضب المصريون وضجّوا من فعالهم، وأخذوا يتطلعون إلى من يخلصهم من شرّ هؤلاء الغزاة المفسدين(١) .

هذا يبين أن عثمان ﷺ ينظر إلى الأمور نظرة مجردة ، دون محاباة أحد على آخر، فعندما عزل عَمرواً كان له رأي وسبب ، وعندما اقتضت مصلحة الأمة في المعركة أن يعود عمرو إلى القيادة أعاده ، وهكذا يدعو عثمان ﷺ عن طريق هذه السياسة القادة والخلفاء من بعده إلى إيثار مصلحة الأمة على ما سواه ، وإلى تقديم الكفء من الناس وأصحاب القدرات على وفق ما يتطلبه الموقف (٢) .

وبعد ذلك التقى الروم والمسلمون واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الروم وتبعهم المسلمون إلى أن أدخلوهم الإسكندرية، وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة، منهم قائدهم منويل الخصي ، وكان الروم لما خرجوا من الإسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى مَن وافقهم ومَن خالفهم، وكان على الإسكندرية سور فأقسم عمرو بن العاص ﷺ لئن أظهره الله عليهم ودخلها لَيَهْدِمَنَّ سورها ففعل ذلك وأبرّ بقسمه، وظفر بهم وسباهم وبعث السبي إلى المدينة ، فظهر في المدينة أخلاق الإسلام في

(١) ينظر: عثمان بن عفان ﷺ ، الصلابي ، ص ١٩٧ – ١٩٨.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ ، جـ ٢/ ص٤٥٥.

الحرب، التي بسببها دخل كثير من الناس في الإسلام حبّاً به لا إكراهاً بحدِّ السيف، وهذه هي الغاية من الجهاد في سبيل الله ﷻ [١] .

ومن تلك الأخلاق العظيمة ما فعله عمرو بن العاص ﷺ مع أهل القرى، فقد جاؤوا إلى عمرو بن العاص ﷺ وقالوا: ((إنّ الروم أخذوا دوابنا وأموالنا، ولم نخالف نحن عليكم وكنّا على الطاعة . فردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم بعد إقامة البينة))[٢] .

ثم عزل عثمان بن عفان ﷺ عمرو بن العاص ﷺ عن الإسكندرية ومصر ، وولّاهما عبدالله بن سعد بن أبي السرح [٣].

وحتى يتأكد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ويطمئن إلى حال الإسكندرية ، ولا يتحمل المسلمون معارك في المستقبل ، كتب ﷺ كتاباً إلى عبدالله بن سعد بن أبي السرح بعد أن استعمله على مصر جاء فيه: ((قد علمت كيف كان همّ أمير المؤمنين بالإسكندرية ، وقد نقضت مرّتين ، فألزم الإسكندرية رابطتها ، وأجر عليهم أرزاقهم ، وأعقب بينهم في كل ستة أشهر))[٤]، وهذا الكتاب فيه رسائل عدة أبرزها:

أ – يدعو سيدنا عثمان ﷺ إلى تثبيت حكم الإسلام في البلاد المفتوحة حتى إذا لم يدخل أهلها في الإسلام ، فهذا يعطيهم فرصة للاطلاع على عدالة الإسلام وسماحته ، فيسهل عليهم الدخول إليه [٥].

ب – يدعو سيدنا عثمان ﷺ إلى أن يكون الجندي دائماً على حذر فبقاؤه ستة أشهر يعطيه راحة في نفسه حتى لا يملّ من وجوده في مكان واحد ، ومن جهة

---

(١) ينظر: فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٢.

(٢) الكامل في التاريخ ، جـ ٢/ ص ٤٥٥.

(٣) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البستي (ت: ٣٥٤ هـ) صححه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بيك ، ط ٣ ، الكتب الثقافية (بيروت/ ١٤١٧ هـ) ، جـ ٢/ ص ٥٠١.

(٤) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، جـ ٢/ ص ٣٥٣.

(٥) ينظر: عثمان بن عفان ﷺ ، للصلابي ، ص ١٩٩.

أخرى فإنه لا يتوفر لديه من الوقت ما يمكن إغراؤه ، فيبقى يقظاً دائماً ويؤدي واجبه على أتم وجه[١] .

ج – توفير الأرزاق للجند حتى لا ينشغلوا بأمور لا علاقة لها بوجودهم أو التقصير في واجباتهم الأساسية [٢].

٢– فتح إفريقية:

كتب عمرو بن العاص إلى سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) يستأذنه لدخول إفريقية ، فكتب إليه سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: ((ولو فُتِحَتْ إفريقية ما قامت بِوَالٍ مقتصدٍ لا جند معه، ثم لا آمن أن يقتلوه، فإن شحنتها بالرجال كَلِفْتَ حَمْلَ مالِ مصر أو عامّته إليها، لا أدخلها جنداً للمسلمين أبداً، وسيرى الوالي بعدي رأيه))[٣].

ثم إنّ عبدالله بن سعد لما ولّي أرسل إلى عثمان ﷺ يستأذنه في غزو إفريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها ، وهنا بدأ عثمان ﷺ بدراسة الأمر فلم يكن ﷺ ليتخذ هذا القرار بدون استشارة ، ويدعو ﷺ أثناء إعداده لهذه الغزوة إلى أمور عدة تتضح من الخطوات التي اتخذها ، من المشورة ثم الإعداد المعنوي والإعداد المادي من سلاح وغيره ، ويرسل برسائل دعوية ، ويبين سياسته في قيادة الأمة والعسكر بصورة خاصة حتى تقتدي الأمة بهذه المبادئ الإسلامية [٤] .

استشار عثمان ﷺ أصحاب رسول الله ﷺ في غزو إفريقية فأشاروا عليه بذلك، وكان ﷺ يكره ذلك لأنّ عمر ﷺ كان يكره ويقول: إنّها لا تحمل والياً مقتصداً، فعثمان ﷺ يدعو إلى الالتزام بمبدأ الشورى وأن لا ينفرد رجل واحد مهما كانت منزلته ومعرفته وذكاؤه في اتخاذ قرارات حاسمة قد تكلف الأمة الكثير من الدماء

---

(١) ينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، جـ ٢/ ص ٣٥٣.

(٢) المصدر نفسه، جـ ٢/ ص ٣٥٤.

(٣) الطبقات الكبرى – متمم الصحابة – الطبقة الرابعة ، ص ٤٦٧.

(٤) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، لابن حبان ، جـ ٢/ ص ٥٠٤.

والأموال[١]، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٢]، بل إنّ الله ﷻ خاطب بالمشورة مَن لا ينطق عن الهوى ﷺ، وعثمان ﷺ قد عايش النبي ﷺ فيعرف كيف يدير الأمور ، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٣].

وبعد ذلك عبأ عثمان ﷺ الناس وهيأ لهم السلاح وما يحتاجونه، وهو بذلك يدعو الأمة إلى العمل بقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٤]، فالنصر لا يكون إلّا إذا أخذ الإنسان بالأسباب المادية والبشرية، لكنه يتوكل على الله ﷻ في إنزال النصر، وهذا ما فعله سيدنا عثمان ﷺ، فالنصر يحتاج إلى إعداد كإعداده، إذ قام ﷺ وندب الناس إلى غزوهم فخرج المسلمون في جيش عظيم فيهم عبدالله بن الزبير ابن العوام، وعبد الرحمن بن أبي بكر (رضي الله عنهما)[٥]، وعبدالله بن عمرو بن العاص وغير هؤلاء من المهاجرين[٦]، ومن جانب الإعداد المادي أعان عثمان ﷺ المسلمين

(١) المصدر نفسه ، جـ ٢/ ص ٥٠٤.
(٢) سورة الشورى ، الآية (٣٨).
(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩).
(٤) سورة الأنفال ، الآية (٦٠).
(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، شقيق عائشة رضي الله عنها ، شهد بدراً وأحداً مع قومه كافراً، ثم أسلم وحسن اسلامه، وصحب النبي ﷺ في صلح الحديبية، كان من أشجع رجال قريش، وأرماهم بسهم، شهد الجمل مع أخته عائشة رضي الله عنها (ت:٥٣ هـ) بالقرب من مكة؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، جـ ٢/ ص ٨٢٤ – ٨٢٦.
(٦) ينظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي ، أبو عبدالله بن محمد بن محمد (ت: نحو ٦٩٥ هـ) تحقيق: ج. س. كولان ، أ. ليفي بروفنسال ، ط ٣ ، دار الثقافة (بيروت/ ١٩٨٣ م) جـ ١/ ص ٩.

في هذه الغزوة بألف بعير يحمل عليها ضعفاء الناس، وفتح بيوت السلاح التي كانت للمسلمين ، فلما توافى الناس جدوا السير[١]، وهكذا يدعو عثمان ﷺ إلى أخذ الأسباب المادية قدر استطاعته، ولم يدّخر جهداً ولا مالاً في ذلك، ولم يكتف بذلك ﷺ إنّما أمر الناس فعسكروا، وقام فيهم خطيباً فوعظهم وذكرهم وحرّضهم على الجهاد ، وشحذ الهمم فيهم[٢]، عملاً بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[٣] .

وقد طمأنهم أكثر حين قال لهم: ((وقد عهدتُ إلى عبدالله بن سعد أن يحسن صحبتكم ويرفق بكم وقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم [٤] إلى أن تقدموا على ابن ابي سرح فيكون الأمر له))[٥]، ونستنتج من هذه الوصية العثمانية ما يأتي:

أ – وصيته لعبدالله بن سعد بأن يحسن إلى الجند ويكون رفيقاً بهم عملاً بما روي عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي: ((اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به))[٦].

---

(١) ينظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ ١/ ص ٩.

(٢) ينظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ ١/ ص ٩.

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٦٥)

(٤) الحارث بن الحكم السلمي ، له صحبة ، غزا مع النبي ﷺ ثلاث غزوات ، روى عنه عطية الدعاء ، وهو وهم ، والصواب: الحكم بن الحارث ، قاله ابن منده؛ ينظر: أسد الغابة ، جـ ١/ ص ٣٨٨.

(٥) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ ١/ ص ٩.

(٦) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت: ٣٥٤ هـ) تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت/ ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م) باب ذكر دعاء المصطفى ﷺ لمن رفق بالمسلمين في أمورهم مع دعائه على من استعمل ضده فيهم ، رقم الحديث (٥٥٣) قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم.

ب – أمّر عليهم الحارث بن الحكم حتى وصوله لعبدالله بن سعد ، فإنّه ﷺ يدعو إلى الالتزام بقول رسول الله ﷺ: ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم))[١].

ج – تنصيبه الحارث بن الحكم أميراً مؤقتاً كان لِوَأْدِ الفتنة التي قد تولد من وجود أميرين في معركة واحدة فإنّ ذلك قد يؤدي إلى الخصام والشقاق بين صفوف المقاتلين وهذا يؤدي بدوره إلى ضعفهم وتلاشي قوتهم [٢] .

سار الجيش الإسلامي نحو إفريقية وبث عبدالله بن سعد السرايا في كل ناحية، وكان ملك إفريقية اسمه جرجير ، وملكه من طرابلس إلى طنجة ، وكان هرقل ملك الروم قد ولاه إفريقية ، فهو يحمل إليه الخراج كل سنة [٣] .

فلمّا بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد ، فبلغ تعداد جيشه مئة ألف وعشرين ألف فارس، والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة، وهذه المدينة كانت في ذلك الوقت دار الملك ، فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم، وأرسل عبد الله بن سعد يدعوه إلى الإسلام أو الجزية ، فامتنع وتكبر عن قبول أحدهما [٤] .

إنّ نشرَ الإسلام في ربوع الأرض هو الغاية العظمى من معارك المسلمين، وبعد ذلك ظهر روح التعاون بين القائد والجند فعبدالله بن الزبير ﷺ رأى قتال المسلمين كل يوم من الصباح حتى الظهر فإذا أذن المؤذن لصلاة الظهر، عاد كل فريق إلى خيامه متعباً، وشهد القتال من الغد فلم يَرَ ابن أبي سرح، فسأل عنه، فقيل إنه سمع منادي جرجير يقول: من قتل عبدالله بن سعد فله مئة ألف دينار وأزوّجه

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمّرون أحدهم، رقم الحديث (٢٦٠٨) قال الشيخ الألباني: حديث حسن صحيح.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ ، جـ ٢/ ص ٤٦٣.

(٣) المصدر نفسه ، جـ ٢/ ص ٤٦٣.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك (ت: ٤٤٩ هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، ط ٢ ، مكتبة الرشد (الرياض/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م) جـ ٥/ ص ٨٩.

ابنتي، وهو يخاف، فحضر عنده وقال له: تأمر منادياً ينادي: من أتاني برأس جرجير نفلته مئة ألف وزوّجته ابنته واستعملته على بلاده، ففعل ذلك، فصار جرجير يخاف أشد من عبدالله(١).

ثم إنّ عبدالله بن الزبير ﷺ أشار إليهم بخطة عظيمة لعبدالله بن سعد كانت هذه الخطة مفتاح النصر من عند الله ﷻ، قال: إنّ أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمداد متصلة وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملّوا ، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين، ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونقصدهم على غِرَّةٍ ، فلعلَّ الله ينصرنا عليهم، فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك (٢) .

فلما كان من الغد فعلوا ما اتفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم، وخيولهم عندهم مسرجة ... وعندما عاد كل من الطائفتين وألقى سلاحه ووقع تعباً ، أخذ عبدالله بن الزبير ﷺ من كان مستريحاً من شجعان المسلمين، وقصد الروم ، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحد وكبّروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقُتِلَ جرجير، وانهزم الروم، وقُتِلَ منهم مقتلة عظيمة، وأخذت ابنة الملك جرجير سبية، ونازل عبدالله بن سعد المدينة، فحصرها حتى فتحها، ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار، وأقام عبدالله بن سعد بإفريقية سنة وثلاثة أشهر ، ثم عاد إلى مصر(٣) .

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ ، جـ ٢/ ص ٤٦٣.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ ، جـ ٢/ ص ٤٦٤.

(٣) المصدر نفسه ، جـ ٢/ ص ٤٦٤.

ثانياً: سياسته العسكرية ﷺ البحرية

١- الإذن بالغزو البحري:

كان عمر بن الخطاب ﷺ يمنع الناس من ركوب البحر، فلم يركبه أحد طول حياته، فلما مات ﷺ استأذن معاوية ﷺ عثمان بن عفان ﷺ، فأذن له [١]، ولعلّ الذي جعل عثمان ﷺ يأذن في ركوب البحر، ركوبه البحر ﷺ عندما هاجر إلى أرض الحبشة في بداية الدعوة، إذ استأجروا هو ومن معه سفينة بنصف دينار[٢]، فكان على دراية بالبحر وما فيه، وعندما عزم عثمان ﷺ على ركوب البحر جعل له ضوابط وقواعد ولم يترك ذلك للقادة الميدانيين ورغباتهم ، إنّما كان ذلك بمنتهى الحذر، إذ قال لمعاوية: ((لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خَيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعِنْهُ))[٣]، فيدعو سيدنا عثمان ﷺ بهذه المقولة لمعاوية ﷺ إلى ما يأتي:

أ – لا يريد عثمان ﷺ أن يذهب أحد لمثل هذا النوع من الغزو مكرهاً إنما يذهب طائعاً راغباً [٤].

ب – هذه الكلمات تحمل الكثير من الشفقة والرحمة على المسلمين ، وهذا الذي يجب أن يكون عليه الراعي تجاه رعيته فيشعر بمسؤوليته أمام الله ﷻ [٥].

ج – يدعو عثمان ﷺ إلى مكافأة المحسن على إحسانه ، من خرج للغزو طائعاً فأكرمه بالحمل والإعانة والرفق به ، فهل جزاء من رضي بالغزو إلا الإعانة والتقدير[٦] .

---

(١) ينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، جـ ٢/ ص ٣٥٨.

(٢) ينظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، جـ١/ ص ١٤٥.

(٣) تاريخ الطبري ، وصلة تاريخ الطبري ، جـ ٤/ ص ٢٦٠.

(٤) ينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، جـ ٢/ ص ٣٦٤.

(٥) المصدر نفسه ، جـ ٢/ ص ٣٦٤.

(٦) المصدر السابق ، جـ ٢/ ص ٣٦٤.

د – إنّ الجندي عندما يخرج مقتنعاً بنفسه فذلك أدعى له في طاعة القائد عن رغبة واقتناع ذاتي وليس عن رهبةً أو خوفاً [١] .

و – إنّ قناعة الجند بواجبه تجعل الجند يشعرون بالارتياح والرضا ، هذا من أقوى الأسباب لرفع روحهم المعنوية التي تعدّ أمراً ضرورياً لنجاح الجند والقادة في أداء المهمات العسكرية [٢] .

وفعل معاوية ﷺ ما أمره به عثمان ﷺ، واستعمل على البحر عبدالله بن قيس الجاسي[٣]، فغزا خمسين غزوة بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب ، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألّا يبتليه بمصاب أحد منهم، فاستجاب الله ﷻ له في ذلك، إنّ دعاء القائد بهذا الدعاء يدل على أهم المبادئ القيادية التي قررها الفن العسكري الإسلامي: المحافظة على أرواح الجند، ويُعدُّ تحققه أسمى هدف تسعى إليه القيادة العسكرية ، وقد ظهر هذا المبدأ في عهد رسول الله ﷺ وهذا يُعَدُّ سبقاً عسكرياً تميزت به قيادة الرسول ﷺ في معاركه، وهذا ما سار عليه الخلفاء الراشدون وقياداتهم العسكرية ، وكان الهدف من ذلك هو الحصول على النصر بدون –أو بأقل– خسائر ممكنة في الأرواح والمعدات ، مع إظهار القوة لإرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على المسلمين دون تعريض أرواح الجند إلى التلف. وذلك لأن الجند هم الحصن الواقي – بعد الله ﷻ – للإسلام وأهله وإذا تعرضوا للقتل حرص العدوّ على إبادتهم واستئصال شأفتهم[٤] .

---

(١) ينظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ، للدكتور عبدالله محمد الرشيد ، دار القلم (دمشق/ ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م) ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦.

(٣) عبدالله بن قيس الكندي ، حليف بني فزارة الحارثي وهو الصحيح وليس الجاسي ، له إدراك وليس له صحبة ، أمير البحر في صدر الإسلام ، قتله الروم وهو يطوف في أحد المرافئ متخفياً سنة٥٣ هـ؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ/ ص ٧٤؛ والأعلام للزركلي، جـ ٤/ ص ١١٤ – ١١٥.

(٤) ينظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ، ص ٢٤.

٢ – غزوة قبرص:

بعد أن أذن عثمان ﷺ بركوب البحر ، أعدّ معاوية ﷺ المراكب اللازمة لحمل الجيش الغازي، واتخذ ميناء عكا مكاناً للإقلاع وكانت المراكب كثيرة[١]، وكان ممن حمل على السفن عبادة بن الصامت ﷺ [٢] ومعه زوجته أم حرام بنت ملحان [٣] صاحبة القصة المشهورة، عن أنس بن مالك ﷺ، قال: ((دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان فاتكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لم تضحك يا رسول الله ؟ فقال: ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرّة ، فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعلها منهم، ثم عاد فضحك، فقالت له مثل – أو مِمَّ – ذلك ، فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين ولست من الآخرين، قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر ، فلما قفلت ركبت دابتها، فوقصت بها فسقطت عنها فماتت))[٤] .

إنّ المسلمين قد تربوا على أنّ ما عند الله خير وأبقى، وأن الله ﷻ اصطفاهم لنصرة دينه وإقامة العدل ونشر الفضيلة، والعمل على إظهار دين الله على كل ما عداه، وهم يعتقدون أن هذه المهمة هي رسالتهم الحقيقية في الحياة [٥]. لذلك سار المسلمون من الشام وركبوا من ميناء عكا متوجهين إلى جزيرة قبرص، ونزل المسلمون إلى الساحل، وتشاوروا فيما بينهم، وأرسلوا إلى أهل قبرص يخبرونهم

---

(١) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ١٩٠.

(٢) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن الخزرج الأنصاري السالمي، كان نقيباً، وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، وجهه عمر رضي الله عنهما إلى الشام قاضياً ومعلماً، انتقل إلى فلسطين ومات بها دفن بالبيت المقدس (ت: ٣٤هـ)؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ ٢/ ص ٨٠٧ – ٨٠٨.

(٣) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عدي بن النجار، خالة أنس بن مالك ، كان رسول الله ﷺ يكرمها ويزورها في بيتها ويقيل عندها ، ودعا لها بالشهادة؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، جـ ٤/ ص ١٩٣١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة المرأة في البحر، رقم الحديث (٢٨٧٧).

(٥) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ١٩١.

أنهم لم يغزوهم للاستيلاء على جزيرتهم ، ولكن أرادوا دعوتهم لدين الله ﷻ ثم تأمين حدود الدولة الإسلامية بالشام من البيزنطيين حيث كانت قبرص مقراً لهم للاستراحة والتزود بالمؤن ... لكن سكان الجزيرة لم يستسلموا ولم يفتحوا للمسلمين بلادهم ، بل تحصنوا في العاصمة ولم يخرجوا للمواجهة [١]. تقدم المسلمون إليهم وحاصروهم وما هي إلّا ساعات حتى طلب الناس الصلح، وأجابهم المسلمون إلى ذلك، واشترطوا شروطاً واشترط المسلمون شروطاً، وكان منها أن يدفع سكان الجزيرة للمسلمين سبعة آلاف ومائتي دينار كل عام[٢]. ورجع المسلمون بعد أن تركوا أمّ حرام (رضي الله عنها) بعد دفنها في أرض الجزيرة عنواناً على مدى التضحيات التي قدمها المسلمون في سبيل نشر دينهم، وعرف قبرها هناك بقبر المرأة الصالحة ، يا ترى هل سيعود المسلمون اليوم إلى أمجادهم وعزهم ويبذلون في سبيل نشر دينهم بعضاً من جهودهم وأموالهم ؟![٣] .

٣- معركة ذات الصواري[٤]: أصيب الروم بضربة قاصمة وحاسمة في إفريقية، وتعرضت سواحلهم للخطر بعد أن صار للمسلمين أسطول بحري ،

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩١.

(٢) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ١٩٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٢.

(٤) اشتهرت هذه المعركة باسم ((ذات الصواري)) وسميت بذلك لكثرة صواري السفن التي شاركت فيها وهي الأدقال، وكان ذلك سنة ٣٤ هـ، كما سميت ((ذا الصواري)) بحذف التاء، واستدل بعضهم من هذه التسمية أنها نسبة إلى المكان الذي جرت الموقعة عنده؛ لأنّه كان مكتظّاً بأشجار السرو، فكان هذا الاسم لإقليم يجلب منه قدماء المصريين الخشب لبناء سفنهم، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المصادر لم تحدد المكان الذي دارت الموقعة عنده بالضبط؛ ينظر: التنبيه والإشراف، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ) تصحيح: عبدالله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي (القاهرة/ بلا) ص١٣٥؛ ونهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣ هـ) دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة/ ١٤٢٣هـ) جـ٢٠/ص ٢٠٤١؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جـ٣/ ص٤٢٠.

يجولون على سواحل البحر المتوسط[١]، فجمع قسطنطين ابن هرقل الروم ومعهم البربر لقتال عبدالله بن سعد ابن أبي السرح وساروا إلى المسلمين في جمع لم يُرَ مثله وقد خرجوا في خمسمئة مركب، وقصدوا عبدالله بن أبي السرح ومن معه من أصحابه في المغرب ليثأروا من المسلمين لخسارته المتوالية في البر، فأمر عثمان بن عفان ﷺ بصدّ العدوان، فأرسل معاوية ﷺ مراكب الشام بقيادة بسر بن أرطاة، واجتمع مع عبدالله بن سعد ابن أبي السرح في مراكب مصر وكانت كلها تحت إمرته ومجموعها مئتا سفينة فقط، فلما تراءى الجمعان، بات الروم يصلّبون، وبات المسلمون يصلّون، ويقرأون القرآن ويتضرعون إلى الله ﷻ ، فلما أصبحوا صفّ عبدالله بن أبي السرح المسلمين صفوفاً في المراكب، كما يحب الله ﷻ ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[٢]، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن، وكانت الريح مع الروم والبربر، ثم سكنت الريح، فقال لهم المسلمون إن شئتم القتال، فأنزل نصره على المسلمين بما صبروا، وهرب قسطنطين وجيشه، وأقام عبدالله بن أبي السرح بذات الصواري أياماً، ثم رجع منصوراً مظفراً بنصر الله تعالى[٣]، وكانت لهذه المعركة نتائج إيجابية كبيرة سهلت الطريق لنشر الدعوة الإسلامية وهي:

١ – كانت ذات الصواري أول معركة بحرية خاضها المسلمون ، أظهر فيها الأسطول الفتي الصبر والإيمان، والفكر السليم في التضحية لأجل هذا الدين[٤] .

٢ – الإعداد الروحي قبل المعركة ، له قيمته في تحقيق النصر، إذ تتجه القلوب وتتعلق بالله ﷻ بصدق، فهؤلاء الذين باتوا ليلتهم في تهجد وذكر، إنّما يستمدون العون من الله، من عظمته وعزته ، بعد أن هيأ الأسباب [٥].

---

(١) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ٢٠٦.

(٢) سورة الصفّ ، الآية (٤).

(٣) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ٢١١.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١١.

(٥) ينظر: حقبة من التاريخ ، ص ١٢٥.

٣ – أصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية، وصار الأسطول البحري الإسلامي سيد مياه البحر المتوسط، وهذا الأسطول ليس للتسلط والقرصنة بل للدعوة إلى الله ﷻ وشرعه ، وكسر شوكة المشركين، ونشر الحضارة المنبثقة عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [١] .

المبحث الثالث

أثر الفتوحات في نشر الإسلام

إنّ الدعوة الإسلامية تحمل ميزاناً عدلاً للحقوق والواجبات وفق الشريعة الإلهية، فلا يجوز التفريط بها أو التخلي عنها ، فهي منحة إلهية لكل البشرية ، وقد اقتضى تطبيق تلك التعاليم جهاداً وبذلاً منذ نزول الوحي حتى استقرت دولة الإسلام، فلولا الحركة الجهادية والفتوحات لما قضي على الشرك وطابع الحياة الجاهلية، ولما استقرت معاني العقيدة الصحيحة، وقيم الإسلام الاجتماعية ومضامينه الخلقية في نفوس الملايين من البشر[٢].

فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية، وخطابها موجه إلى الناس كافة بشتى بقاعهم ومختلف أزمانهم ، وجميع أجناسهم وقومياتهم وألوانهم ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٣]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[٤]، وهذا العموم في الخطاب للبشرية اقتضى أن يقوم الرسول ﷺ وأتباعه من بعده بدعوة الآخرين إلى الدخول في الإسلام ، قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾[٥]، لذلك حرص المسلمون بالفتوحات على بناء مجتمع

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٥.

(٢) ينظر: عصر الخلافة الراشدة ، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين ، للدكتور أكرم ضياء العمري ، ط ٦ ، العبيكان (الرياض/ ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م) ص٣٤٥.

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٧).

(٤) سورة سبأ ، الآية (٢٨).

(٥) سورة يوسف ، الآية (١٠٨).

عالمي تقوم على أساس العدل والقوة ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[١]، مما يوضح الأسس اللازمة لبناء مجتمع قوي متحضر يقوم على العدل والقوة ، فالكتاب والميزان لإقامة العدل ، والحديد لإيجاد القوة التي تحمي العدل وتكفل استمراره ، والعدل الإسلامي شامل يمتد إلى المسلم والذمي والكافر ، والأغنياء والفقراء ، والأقوياء والضعفاء [٢].

لذلك كانت الفتوحات، وهذه الفتوحات قد تركت آثاراً في المجتمعات كافة وفي مجالات متنوعة ، في الجانب العقائدي، والجانب الاقتصادي، والجانب العسكري ، والجانب العمراني وغير ذلك ، لذلك سندرس في هذا المبحث النقاط الآتية:

اولاً: التوحيد وإصلاح التصور العقائدي

من أثر الفتوحات الإسلامية أنّ الناس توجهوا إلى التوحيد الخالص لله ﷻ وأنّه الرب الخالق والمنعم الرازق، وأنه خلق البشر لتحقيق العبـــــودية له ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]، وتحرر الناس من الأوهام والأساطـــــــير والخرافات والشعوذة التي يقوم بها منتفعون يزعمون أنهم وسطاء بين الله والناس، بل بعض الناس اتخذوا وسطاء من الحجر والشجر والبشر يناجونهم ويسألونهم، فأعلنت الدعوة الإسلامية أن هذا محض الشرك ، وأنه لا وساطة بين الله والإنسان[٤]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٥).
(٢) ينظر: عصر الخلافة الراشدة ، العمري ، ص ٣٤٢.
(٣) سورة الذاريات ، الآية (٥٦).
(٤) ينظر: عصر الخلافة الراشدة ، العمري ، ص ٣٤٣.

دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾[١]، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: ((اتق دعوة المظلوم ، فإنّها ليس بينها وبين الله حجاب))[٢].

قال ابن كثير (رحمه الله)[٣] في حديثه عن عثمان بن عفان ﷺ ... ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار ، وتوسّعت الدولة الإسلامية ، وامتدت الدولة المحمدية ، وبُلِّغَت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ ﴾[٤]، وقول النبي ﷺ: ((إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده. والذي نفسي بيده لَتُنْفَقَنَّ كنوزهما في سبيل الله))[٥]، وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطّد في زمان عثمان ﷺ [٦]، وقد أقام الإسلام الحجة البالغة على أنّ الله ﷻ هو الذي خلق ، وأقام أيضاً الحجة البالغة على أنه ليس هناك إله غيره ، فقال تعالى في سياق إيراد الحجة العقلية المنطقية: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٧]، وتحدى سبحانه وتعالى الناس بكل قوّة فقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٦).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ، رقم الحديث (٢٤٤٨).

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي ، أبو الفداء، عماد الدين ، حافظ مؤرخ فقيه ، له عدد من المؤلفات منها (البداية والنهاية ، شرح صحيح البخاري لم يكمله ، طبقات فقهاء الشافعيين ، تفسير القرآن الكريم)(ت: ٧٧٤ هـ)؛ ينظر: الأعلام للزركلي ، جـ ١/ ص ٣٢٠.

(٤) سورة النور ، الآية (٥٥).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم الحديث (٦٦٢٩).

(٦) البداية والنهاية ، جـ ٧/ ص ٢٢٤.

(٧) سورة الأنبياء ، الآية (٢٢).

ٱلْحَكِيمُ ﴾[١]، والحقيقة أن هذا المنطق العقلي كان مقنعاً جداً ، حتى جعل أهل الأرض تلقّفوه بالقبول والاقتناع ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً [٢].

ثانياً: العناية بحدود الدولة الإسلامية

لقد ترتب على توسع الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان ﷺ الاستمرار في سياسة تحصين الثغور للحفاظ على حدود الدولة الإسلامية من هجمات الأعداء، سواء كان ذلك بشحنها بالجند المرابطين أو بناء الحاميات الدفاعية المختلفة بها، وهذا بدوره يؤدي إلى استقرار المناطق والمدن المفتوحة مما يسهل حركة الناس في ذهابهم وسفرهم بين البلدان المفتوحة فيتأثر غير المسلمين بالمسلمين في أخلاقهم وتعاملهم ممّا يؤدي إلى اعتناقهم للإسلام [٣].

وكان الفاتحون من شأنهم أن يدعوا أولاً الناس إلى الإسلام ، فمثلاً إفريقية بعد أنْ فتحها المسلمون، وقُتِلَ خلقٌ كثير من أهلها، فعندما رأوا معاملة المسلمين وأخلاقهم واطّلعوا على العقيدة الصحيحة اجتمعوا على الطاعة والإسلام، وحَسُنَ إسلامهم[٤]، وتسهيلاً للعملية الإدارية وسرعة اتخاذ القرارات اللازمة، جمع الخليفة عثمان بن عفان ﷺ لمعاوية بن أبي سفيان[٥] ﷺ الشام والجزيرة وولاية ثغورها في إدارة موحدة ، وكلفه وأمره بغزو ثغر شمشاط[٦] بنفسه أو أن يولي ذلك من يرضاه

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٢٧).

(٢) ينظر: ماذا قدم المسلمون للعالم، إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية ، الدكتور راغب السرجاني، ط ٣ ، مؤسسة اقرأ (القاهرة/ ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م) جـ ١/ ص ٣٤١.

(٣) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ٢١٤.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ، جـ ٧/ ص ١٧٠.

(٥) معاوية بن أبي سفيان ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان هو وأبوه من مسلمة الفتح ، وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ ، اجتمع الناس عليه حين بايع له الحسن بن علي ﷺ سنة ٤١ هـ ، مات سنة ٦٠ هـ بدمشق. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، جـ ٣/ ص ١٤١٦ – ١٤١٨.

(٦) شمشاط: بالكسر، ثم السكون، وشين كالأولى، وآخره طاء مهملة: هي مدينة بالروم، على شاطىء الفرات، وهى من أعمال خرت برت، وهى غير سميساط التى ذكرت من عمل

من كبار القادة من أصحاب الخبرة والشجاعة الراغبين في الجهاد والحرب مع الروم، وحتى يحافظ على استقرار المدن المفتوحة ، فإنّه ﷺ كتب أيضاً إلى معاوية ابن أبي سفيان أن يلزم ثغر أنطاكية [١] قوماً وأن يقطعهم القطائع به ففعل ذلك ، وليس إقطاع الأرض إلا لأجل البناء والسكن وهذا يساعد على نحو كبير في انتشار الإسلام في البلاد المفتوحة[٢].

وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر مَن يحتاج لها من المسلمين، فإن حدث في شيء منها حدث من العدو وبعثوا إليها الأمداد، فلما استخلف عثمان بن عفان ﷺ غيّر الأمر إلى الأفضل حتى يقلل من الأعباء على الدولة ويسهل نشر الدعوة الإسلامية ويحافظ على البلاد المفتوحة فكتب إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ يأمره بتحصين السواحل وشحنتها وإعدادها إعداداً جيداً بالجنود إذا هو غزا أو أغزى سوى من فيها من الرتب ، وأمره أن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل وأمره أيضاً ببناء المساجد وأن يكبر ما كان ابتنى منها، لذلك بعد هذه الأمور انتقل الناس إلى السواحل من كل ناحية، ولا يخفى ما للمساجد من دور عظيم في نشر الدعوة الإسلامية بين الناس. وكذلك فإنّ المدن أصبحت كبيرة كلما كانت أقوى وأكثر صموداً في وجه الأعداء لأنّها يسكنها ناس كثيرون[٣] .

الشام؛ ينظر: معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦ هـ) ط ٢ ، دار صادر (بيروت/ ١٩٩٥م) جـ ٣/ ص ٣٦٢.

(١) أنطاكية: هي مدينة أول من بناها انطيخس ، وقيل أول من بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقن، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية ، موصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه؛ المصدر نفسه ، جـ ١/ ص ٢٦٦.

(٢) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ٤١٢.

(٣) ينظر: فتوح البلدان ، ص ١٣٠ – ١٣١.

وهذه العملية البنائية وتوسعة المدن كانت على نطاق واسع ، فإنه لما مدّت الأمداد في زمان عثمان ﷺ وكثر الناس ، وسّع كلّ قوم لبني أبيهم حتى كثر البنيان وَالْتَأَمَ [١].

وكتب عثمان ﷺ لعبد الله بن سعد بن أبي السرح يأمره بالحفاظ على ثغر الإسكندرية بإلزام الجند المرابطة به ، وأن يجري عليهم أرزاقهم ، وأن يعقب بين المرابطين من أجل أنّه لا يضر بهم ، وقد مرّ بنا كتابه في ذلك ، وكان من عادة قادة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ إذا تقدموا في الفتوح واستولوا على حصون العدوّ قاموا بترميمها ثم أسكنوها جند المسلمين من المرابطين، فمن تلك الحصون التي أمر بترميمها معاوية ﷺ حصون الفرات وهي على امتداد خمس مدن ، ولا شك في أنّ هذه الحصون تزيد المسلمين قوة إلى قوتهم لما فيها من المنعة ، ومن ثم فهذا يؤدي إلى تعزيز نشر الدعوة الإسلامية[٢].

وعندما فتح البراء بن عازب ﷺ[٣] ثغر قزوين رتب فيهم خمسمئة رجل من جند المسلمين، وعيّن عليهم قائداً وأقطعهم أرضاً وضياعاً لا حقَّ فيها لأحد، فعمروا وأجروا أنهارها وحفروا آبارها ، وحين فتح سعيد بن العاص طميسة[٤] جعل بها مرابطة من ألفي رجل وعيّن عليهم قائداً، إلى غير ذلك من التحصينات التي أنشئت بالثغور في إدارة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ والتي كانت تشحن بالجند لحماية حدود الدولة الإسلامية ، وهذه الخطوات دعت الحاجة إليها فقد كانت بعض البلدان المفتوحة تنقض الصلح من تلقاء نفسها أو بإغراءات خارجية ، ومعاودة فتحها تضيع الكثير من الجهود والأموال وتؤثر على من يريدون الدخول في الإسلام خوفاً

(١) ينظر: فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٥.

(٢) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ٢١٥.

(٣) البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن حارثة الأنصاري الحارثي الخزرجي، استصغره الرسول ﷺ يوم بدر فردّه ، وشهد الخندق وما بعدها ، شهد مع عليّ ﷺ الجمل وصفين والنهروان ، نزل الكوفة ومات بها أيام مصعب بن الزبير؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، جـ ١/ ص ١٥٥ – ١٥٧.

(٤) طميسة: بلدة من سهول طبرستان؛ ينظر: معجم البلدان جـ ٤/ ص ٤١.

من تسلط غير المسلمين عليهم ، فعناية سيدنا عثمان ﷺ لتثبيت الحدود وحمايتها كانت الغاية هي المحافظة على استمرار نشر الدعوة الإسلامية في ربوع الأرض(١).

ولا يخفى أنّ الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان ﷺ امتدت المماليك إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت البلاد من أقصى المغرب إلى أقصى بلاد الصين شرقاً ، وقتل كسرى ، وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق و خراسان والأهواز ، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة ، وجيء بالخراج من المشارق والمغارب إلى مركز الخلافة في المدينة بين يدي عثمان بن عفان ﷺ(٢).

ثالثاً: زيادة الموارد المالية

ما نذكره هنا يتناول الجزية والخراج وعشور التجارة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ إذ تكون واردات الدولة منها ، وينفق منها على النفقات العامة التي تحقق المصلحة العامة للدولة كرواتب العاملين في الدولة وسائر النفقات في إدارة أجهزتها، وما تدفعه الدولة الإسلامية من عطاءات على هيئة معونات أو معاشات للمسلمين، وكذلك نفقات المشروعات العامة التي تقوم بها الدولة مثل شق الأنهار، وتحصين الطرق ، والفتوحات وغير ذلك (٣) .

وأهمية هذه الموارد أنّها موازنة غير مخصصة مواردها لإنفاق محدد بالذات كموازنات الزكاة وخمس الغنائم والفيء ، لذا سندرس هذه الموارد الثلاثة على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ٢١٥ – ٢١٦.

(٢) ينظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، جـ ٣/ ص ١٢٩.

(٣) ينظر: السياسية المالية لعثمان بن عفان ، قطب إبراهيم محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة/ ١٩٨٦ م)، ص ١٠١.

١ - الجزية:

الجزية هي: اسم المال الذي يؤخذ من أهل الذمّة لإمكانهم في ديار المسلمين وحمايتهم وحقن دمائهم(١)، ودليل مشروعيتها قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾(٢).

واستقرت أحكام الجزية وقواعدها ونظام تطبيقها وتحصيلها في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، ولذلك كان دور بيت المال في عهد عثمان بن عفان ﷺ أن يتلقى ما يتم تحصيله من جزية بعد الاتفاق على قيمتها، وأن تقر الدولة ما تم عقده من صلح في عهود سابقة أو إقرار صلح جديد، وأن تتكفل الدولة لمن أدوا الجزية بالحقوق التي تترتب على هذا الأداء(٣).

وهنا نذكر نماذج ممّا آل لبيت المال من إيرادات الجزية:

أ- صالح الوليد بن عقبة(٤) أهل أذربيجان على ثمانمئة ألف درهم (٨٠٠,٠٠٠) وصالح معظم مدن إيران وخراسان على مبالغ محددة تدفعها المدينة أو الإقليم بالتضامن وتشتمل على الجزية والخراج معاً ، وإذا جمعنا الأرقام كلها على جميع المدن ، فإن دخل الدولة الإسلامية من الجزية والخراج يتجاوز (٢٢٠,٠٠٠,٠٠٠درهم)(٥).

ب- جباية مصر من الجزية والخراج في خلافة عثمان بن عفان ﷺ ، وقد حصل فيه زيادة كبيرة ، فقد كانت جبايتها في عهد عمر بن الخطاب ﷺ مليوني دينار (١٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم) وارتفعت في خلافة عثمان بن عفان ﷺ وولاية

---

(١) الموسوعة الفقهية ، جماعة من العلماء ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (الكويت/ من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) جـ ٢/ ص ٦٥.

(٢) سورة التوبة ، الآية (٢٩).

(٣) ينظر: السياسة المالية لعثمان بن عفان ، ص ١٠٣.

(٤) سورة محمد ، الآية (٣٨).

(٥) ينظر: عصر الخلافة الراشدة ، اكرم ضياء العمري ، ص ١٩٤.

عبدالله بن سعد بن أبي السرح إلى أربعة ملايين دينار (١٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم) ولعل السبب في هذه الزيادة الكبيرة ترجع إلى دخول قرى ومدن جديدة في ولاية ابن أبي السرح هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ترجع إلى النمو السكاني والإصلاحات الزراعية واستقرار الأمن مما أدى إلى الازدهار الاقتصادي وارتفاع عوائد الجباية [١] .

٢ – الخراج:

الخراج عند الفقهاء: ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تُؤَدّى عنها لبيت المال، والأرض المختصة بوضع الخراج عليها هي التي صولح عليها المشركون من أرضهم على أنها لهم ولنا عليها الخراج . وكذلك الأرض التي فتحت عنوة عند من يقول بوضع الخراج عليها [٢] .

وقد امتدت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان بن عفان ﷺ على ما ذُكِرَ في هذا المبحث، ونتج عن هذه الفتوحات أن دخلت الأرض الزراعية للبلاد المفتوحة في حوزة الدولة الإسلامية ، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يعتبر ذلك فيئاً للمسلمين ويبقى عليها أهلها من أهل الكتاب الذين آثروا الإبقاء على دينهم يزرعونها ويؤدون عنها خراج الأرض لبيت مال المسلمين لذلك يمكن القول أنّ خراج هذه الأراضي ساهم في زيادة إيرادات بيت المال في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بسبب امتداد الفتوحات الإسلامية في عهده [٣].

٣– عشور التجارة:

العُشْرُ: ضريبة من أهل الذمة عن أموالهم التي يترددون بها متاجرين إلى دار الحرب ، أو يدخلون بها من دار الحرب إلى دار الإسلام ، أو ينتقلون بها من بلد في دار الإسلام إلى بلد آخر[٤].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩٥.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، جـ ١٥/ ص ٩٦ – ٩٧.

(٣) المصدر نفسه ، جـ ١٥/ ص ٩٧.

(٤) ينظر: السياسة المالية لعثمان بن عفان ، ص ١١٣.

إنّ القواعد العامة لعشور التجارة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ يبدو بصفة عامة أنّ إيرادات بيت المال زادت من عشور التجارة نتيجة لزيادة رقعة الدولة الإسلامية بسبب الفتوحات التي وقعت في عهد عثمان ﷺ ونتيجة لزيادة الثروات لدى بعضهم مما زاد القوة الشرائية بصفة عامة خصوصا في السنوات الأولى من عهد عثمان بن عفان ﷺ التي اتسمت بالاستقرار(١).

ومن العوامل التي أدت إلى زيادة حصيلة عشور التجارة في عهد عثمان بن عفان ﷺ ارتفاع الأسعار، فإنّ ارتفاع أسعار السلع يؤدي بالتالي إلى زيادة حصيلة عشور التجارة منها، لأنّها ضريبة قيمية تؤخذ بنسبة معينة على قيمة السلعة، وليست نوعية تؤخذ على نوع السلع (٢).

فزيادة هذه الإيرادات تساعد على التوسع في النفقات العامة كنفقات إدارة الدولة، ونفقات بعثة الحج، ونفقات إضاءة المساجد وكسوة الكعبة، ونفقات المشاريع العامة في البلدان المفتوحة كإقامة وتشييد المساجد أو توسعتها وحفر الآبار وتحصين الطرق المؤدية إلى المدن، وهذه النفقات التي ذكرنا كلها تسهم في النتيجة والمحصلة الأخيرة في نشر الدعوة الإسلامية، فالمال من أهم الوسائل الفعّالة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى(٣) .

رابعاً: التطور في فنون الحرب والسياسة

كانت الحروب قبل الإسلام تنشأ بين الشعوب من أجل قطعة من الأرض يراد تملكها، أو بسبب اعتداء يقع على بلد أو قبيلة، ولكنها في عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين ﷺ أصبحت بسبب المبادئ، فالمسلمون يريدون أن تكون عقيدتهم هي

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ، جـ ١٥/ ص ٩٧.

(٢) ينظر: السياسة المالية لعثمان بن عفان ، ص ١٢٣.

(٣) ينظر: السياسة المالية لعثمان بن عفان ، ص ١٢٣.

السائدة والمهيمنة في الأرض، فاصطدمت بعقائد فاسدة كعقائد المشركين والمجوس[١] .

((الإسلام لا يعرف حرب العدوان ولا يزاولها لبسط سلطان، وإنّما يعدها تأميناً لدعوته وإباحة لحرية الاعتقاد ويتخذ منها حصناً يقيه اعتداء المعتدين ، ويرد عنه كيد الغاشمين ليبلغ الناس كلمة التوحيد التي جاء بها رسول الله ﷺ فكل من يمنعه تبليغ دعوته ويحول بينه وبين الناس يجب قتاله ليفسح الطريق أمام الدعوة))[٢]، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣]، وقال سبحانه وتعالى في حق أهل الكتاب الذين أرادوا مقاومة الدعوة الإسلامية: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[٤]، لذلك فإنّنا نجد نوعاً آخر ولوناً جديداً في الحرب، وهو ما كان يعرضه المسلمون الفاتحون على أعدائهم من الدعوة إلى الإسلام أو دفع الجزية كما بينت الآية التي ذكرت آنفاً، فنتج عن هذه الفتوحات سياسة فذّة أرضت جميع الشعوب ، إلا من كان في قلبه حقد على العدل والمساواة ممن كانت تحدثهم نفوسهم بالفتن والعصيان، وهؤلاء فقط من اضطروا المسلمين أحياناً إلى الشدة في معاملتهم والتنكيل بهم [٥].

فما السر؟ وما السبب في انتشار الفتوحات الإسلامية بهذه السرعة ؟ واثرها في نشر الاسلام ؟ والجواب على ذلك أنّ هذه السرعة في انتشار الفتوحات الإسلامية ، سببها منهج الإسلام فقد خرّج النبي ﷺ من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة العطرة رجالاً أبطالاً بمعنى الكلمة ، حركت الآيات القرآنية قلوبهم وزكّت

---

(١) ينظر: عثمان بن عفان ، للصلابي ، ص ٢١٣.

(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، للدكتورة يسري محمد هاني ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية (مكة المكرمة/ ١٤١٨ هـ) جـ ١/ ص٣١٨.

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٩٣).

(٤) سورة التوبة ، الآية (٢٩).

(٥) ينظر: عثمان بن عفان ، للصلابي ، ص ٢١٣.

نفوسهم، وهذّبت أخلاقهم حتى في الحروب[١]، فكانوا نماذج وقدوات صالحة فتحت الأمم قلوبها لاستقبالهم ، ويمكن أن نوجز تلك الأسباب بما يأتي:

أ – إنّ إيمان الجندي بعدالة قضيته التي يحارب من أجلها ، عامل له أبعد الأثر في نصر الجيوش ، فالجندي الذي يحارب وهو مؤمن بما يحارب من أجله يجعله يبذل كل ما يستطيع في سبيل حصوله على النصر أو الشهادة ، وقد كانت تلك الروح التي سيطرت على الجيوش الإسلامية كلها ، لذلك لما أمر سعد بن أبي وقاص ﷺ في فتح القادسية بقراءة سورة الجهاد – وهي الأنفال – فلما قُرِئَت هشت قلوب المسلمين وعيونهم ، وعرفوا السكينة مع قراءتها [٢].

ب – يقين المسلمين بربهم في قضيتي الرزق والأجل والقضاء والقدر ، فالقرآن الكريم حدث المسلمين عن قضيتي الرزق والأجل بما يبدد أسباب الخوف والجبن فإنّ الإنسان يجبن ويخاف إذا اهتزت هذه العقيدة في قلبه فيخاف على رزقه أن يضيع أو على أجله أن ينتهي ، ولكن إذا اطمأن إلى أنّ هذين الأمرين بيد الله ﷻ لا بيد بشر وفي السماء لا في الأرض صار يخوض الحروب غير هيّاب ولا وجل . فالقرآن الكريم يهتف في شعور المؤمن بقول الله ﷻ ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾[٣]، هذه العقيدة العظيمة جعلت المسلمين يقابلون المعارك بصدور رحبة وقلوب واثقة لا تخاف الموت بل تسعى إليه وتتسابق عليه ... فانطلق المسلمون إلى ميادين القتال وهم يؤمنون بأن الشجاعة والإقدام لا تنقص الأجل ، كما أنّ الجبن لا يطيل العمر[٤].

ج – سماحة المسلمين وعدالتهم مع الشعوب ، فهذه الشعوب رأت في المسلمين الفاتحين أخلاقاً لم ترها في أبناء جنسها، فسماحة المسلمين لم يشاهدوا لها مثيلاً، رأوا جيوشاً عندها مبادئ في القتال والحروب، فهي ترحم الصغير، والشيخ المسن،

(١) ينظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، جـ ١/ ص ٣٢٢.
(٢) ينظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، جـ ١/ ص ٣٢٢.
(٣) سورة الذاريات ، الآيتان (٢٢ – ٢٣).
(٤) ينظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، جـ ١/ ص ٣٢٢ – ٣٢٣.

ولا تقتل امرأة ولا طفلاً، ولا تقطع نخلاً، ولا تبيد زرعاً ولا تذبح ماشية إلا لطعامها، ولا تروع عابداً في صومعته [١] .

إنّ هذه الشعوب رأت وذُهِلَت بخلق جديد لم تعرفه الدنيا من قبل ، يعدل ولا يفرق في عدله بين مسلم وغيره، ولا بين عظيم وغير عظيم، ولا بين غني وفقير، رأت هذا المثال التطبيقي للإسلام، في صفاء جوهره، ونقاء معدنه، فسارعت بالترحيب بالقادمين الفاتحين. فالمسلمون كانوا يفشون العدل وينشرونه في البلاد التي تدين بطاعتهم ويرفقون بالرعية ويزهدون ما في أيدي المحكومين، وهذا الخلق شيء لم يألفوه في حكامهم، فكان شيوع هذه الصفات والأخلاق عنهم يسبقهم، ويفتح القلوب قبل فتح المدن والحصون [٢] .

د – تحديد الهدف من الحرب، لقد وضع الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون ﷺ من بعده، وعثمان ﷺ منهم، هذه النقطة في خطة الحرب الإسلامية لتكون الهدف في كل العمليات واضحاً يسعى الجميع إليه ، فالهدف الأساس هو القضية التي يؤمن بها كل فرد مقاتل، فهدف المسلمين من كل هذه الفتوحات نشر الإسلام، وتبليغه إلى الشعوب بإزالة الطواغيت الذين يحرمون شعوبهم من هذا الخير العميم[٣] .

لذلك كان يسبق كل معركة اتصالات، الغرض منها تحقيق هذا الهدف وكانت هذه الاتصالات تتكرر في إطار من الظروف السلمية، ثم في أجواء من الحرب النفسية ، فإذا فشلت كل الوسائل كانت الحرب هي الوسيلة النهائية لتحقيق ما عجزت عنه الوسائل السلمية لتحقيقه، فكان القادة يعرضون على عدوهم قبل المعركة اختيار واحدة من ثلاث:

١ – الإسلام .

٢ – الجزية .

٣ – الحرب [٤] .

ومما ذكر في هذا المبحث نخلص إلى النتائج الآتية:

١ – إذا أرادت الأمة الإسلامية أن تعود إلى عزها ومجدها ، ودورها في قيادة العالم فيجب أن تتوحد وتجتمع ، ولن تتحقق الوحدة والاجتماع إلا إذا توحدنا على كلمة التوحيد

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ١/ ص ٣٢٤.

(٢) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ٢١٣.

(٣) ينظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، جـ ١/ ص٣٣٤.

(٤) ينظر: عثمان بن عفان ، الصلابي ، ص ٢١٦.

، وسلمنا أمرنا إلى الله ﷻ، وتوكلنا على الله حق التوكل، وعلمنا يقيناً أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله ﷻ، وتركنا انتماءاتنا الفئوية القاصرة، ولا ضير إذا اختلفنا في الرأي ، لكن أن يعذر أحدنا الآخر ، فالذي يجمع بيننا أمور كثيرة .

٢ – إذا أردنا نشر الدعوة الإسلامية بصدق فيجب تسخير كل الطاقات والإمكانيات البشرية والمالية، ويتحمل الحكام فيه جزءاً كبيراً من المسؤولية فسياسة الحاكم تعزز ذلك كثيراً جداً ، فهكذا كان عثمان ﷺ .

٣ - المسلمون نشروا دينهم بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن، حتى يثبتوا للعالم كله أن لا إكراه في الدين وهم بذلك يردون الدعوى القائلة بأنهم أكرهوا الناس على الدخول في دينهم، فالقرآن يعلن بوضوح أن العقائد لا تستقر في القلب إلا بالاقتناع الكامل الصادر عن يقين جازم لا يدانيه شك في صحة هذه العقائد ، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[٢].

٤ – على الإنسان إذا أراد أن يعيش حياة كريمة أن يعيش من أجل مبادئ يؤمن بها ويقتنع بصحتها، ولا يكون إمّعة يميل حيث ما مالت الريح ، بل يبقى ثابتاً على مبدئه ومعتقده، وهذا ما عاش عليه الصحابة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: ((لا تكونوا إمَّعَة تقولون إنّ أحسن الناس أحسنّا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءُوا فلا تظلموا))[٣].

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٦).

(٢) سورة يونس ، الآية (٩٩).

(٣) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الإحسان والعفو ، رقم الحديث (٢٠٠٧) وعقب الترمذي على الحديث بقوله: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قال الشيخ الألباني: حديث ضعيف.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات ، وتزكو الأعمال الباقيات .

وبعد: فها هي عناية سيدنا عثمان بن عفان ﷺ بالفتوحات بصورتها النيرة تمثل حياته المليئة بالعطاء والتضحيات في سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

رجل أسرع إلى الإسلام مع أول نداء ، وهو أتم ما يكون رجولية واكتفاءً بنفسه عن الناس ،ومسلم يعتز به الإسلام فيعزه وينتصر به فينصره ، آثر دينه وعقيدته على وطنه وأهله وماله .

وبعد العرض لهذه المباحث من سيرة عثمان ﷺ وعنايته في الفتوحات ونشر الدعوة الإسلامية هناك جملة من النتائج التي توصل إليها هذا البحث من أهمها:

١ – أهمية الدعوة إلى الله ﷻ ، والأمة اليوم بأمس الحاجة إلى ذلك في الواقع الذي تعيشه مع كثرة المشكلات ، والتحديات التي تواجه البشرية ، ولا مخرج لها من كل ذلك إلا باتباع الوحي الإلهي .

٢ – استمرار الدعوة الإسلامية وعدم انقطاعها أو توقفها وهذا يدل على أهميتها وعلوّ منزلتها .

٣ – هناك أهداف حقيقية تسعى الدعوة الإسلامية إلى تحقيقها في حياة الناس وأعظمها توحيد الله ﷻ وعبادته سبحانه ، وعمارة الأرض ، وتحقيق معنى الاستخلاف الشرعي .

٤ – للدعوة الإسلامية قواعد يسير على ضوئها ، وليس هملاً يترك للسير على أهواء الأشخاص أو انتماءاتهم . فيلتزم بهذه القواعد في توجيه الناس وخطابه لهم .

المصادر والمراجع بعد القران الكريم

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن معبد ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي، البستي (ت: ٣٥٤ هـ) تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت / ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
- الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ) تحقيق: محمد الياس الباره بنكوي ، دار ابن كثير (دمشق– بيروت / ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣ هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل (بيروت / ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
- أسد الغابة ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين أبن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤١٥هـ) .
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، سليمان بن موسى بن سالم ابن حسان الكلاعي الحميري ، أبو الربيع (ت: ٦٣٤ هـ) دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤٢٠ هـ) .
- البداية والنهاية ، أبوالفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ) تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م) .

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي ، أبو عبدالله بن محمد بن محمد (ت: نحو ٦٩٥ هـ) تحقيق: ج . س . كولان، أ . ليفي بروفنسال ، ط ٣ ، دار الثقافة (بيروت / ١٩٨٣ م) .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي (بيروت / ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .
- تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، الدكتورة يسري محمد هاني ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية (مكة المكرمة / ١٤١٨ هـ) .
- التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ ، استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية ، د. علي معطي ، مؤسسة المعارف (بيروت / ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) .
- تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بلا / ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، ط ٢ ، دار طيبة ، (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) .
- تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) مطبعة دار المعارف النظامية (الهند / ١٣٢٦هـ)
- الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ – ٢٩٧ هـ) دار إحياء التراث العربي (بيروت/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) .
- جوامع السيرة النبوية ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) دار الكتب العلمية (بيروت / بلا) .
- حقبة من التاريخ ، عثمان بن محمد الخميس ، ط ٣ ، مكتبة الإمام البخاري (الإسماعيلية / ١٤٢٧ هـ) .

- الخلفاء الراشدون ، حياة ماجدة وأعمال خالدة ، عبد الستار الشيخ ، ط٢، دار القلم (دمشق / ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) .
- ذو النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث ﷺ ، محمد رضا (ت: ١٣٦٩هـ) تحقيق: محمد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية (بيروت/١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م).
- ذو النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث ﷺ ، محمد رضا (ت: ١٣٦٩هـ) تحقيق: محمد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية (بيروت /١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م).
- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، الإمام الشيخ أحمد بن عبد الله الشهير بالمحب الطبري (ت: ٦٩٤ هـ) ط ٢ ، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
- السياسية المالية لعثمان بن عفان ، قطب إبراهيم محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة / ١٩٨٦ م) .
- السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين (ت: ٢١٣ هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري ، ط٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر/ ١٣٧٥ هـ /١٩٥٥ م) .
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ ابن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت: ٣٥٤ هـ) صححه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بيك ، ط ٣،الكتب الثقافية (بيروت/ ١٤١٧ هـ) .
- شرح صحيح البخاري لابن بطال ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك (ت: ٤٤٩ هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢ ، مكتبة الرشد (الرياض / ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م) .

- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) حققه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد (الرياض / ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م) .
- صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ترقيم وترتيب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، تقديم العلامة احمد محمد شاكر ، دار ابن حزم (القاهرة / ١٤٣٠هـ /٢٠١٠ م) .
- صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن لعدل إلى رسول الله ﷺ ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار أبن حزم (القاهرة / ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م) .
- صفة الصفوة ، الإمام جمال الدين القرشي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية (بيروت / ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م) .
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، البصري ، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .
- عصر الخلافة الراشدة ، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين ، الدكتور أكرم ضياء العمري ، ط ٦ ، العبيكان (الرياض/١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م).
- فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ) دار ومكتبة هلال (بيروت / ١٩٨٨ م) .
- فتوح مصر والمغرب ، عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم ، أبو القاسم المصري (ت: ٢٥٧ هـ) مكتبة الثقافة الدينية (بلا / ١٤١٥ هـ) .
- القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ، الدكتور عبدالله محمد الرشيد ، دار القلم (دمشق / ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .

- الكامل في التاريخ كتاب السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية ، أحمد ابن عمر بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن هاشم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة المنورة/ بلا).
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥ هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد (الرياض / ١٤٠٩ هـ) .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نورالدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ) تحقيق: حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي (القاهرة / ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .
- المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، محمد أو (عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري ، أبو عبد الله جمال الدين أبن حديدة (ت: ٧٨٣ هـ) تحقيق: محمد عظيم الدين ، عالم الكتب (بيروت / بلا) .
- المصنف ، أبو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢ ، المكتب الإسلامي (بيروت/ ١٤٠٣ هـ) باب: كم الوتر ، رقم الحديث (٤٦٥٣) .
- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة / ١٩٩٢ م).
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط٢، مكتبة ابن تيمية (القاهرة / بلا) .
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، الدكتور احمد مختار عبدالحميد عمر (ت: ١٤٢٤ هـ) عالم الكتب (بيروت / ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م) .

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣ هـ) المكتبة التوفيقية (القاهرة/ بلا) .
- الموسوعة الفقهية، جماعة من العلماء، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (الكويت/ من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ) .